تَعَرَّفْ عَلَى (قُدُرَاتِكَ)

- "عِنْدَمَا لَا تُوجَدُ رُؤْيَةٌ يَنْهَارُ النَّاسُ".

فَمَا هِيَ رُؤْيَتُكَ ... لِنَفْسِكَ .. وَلأُسْرَتِكَ .. وَمُجْتَمَعِكَ .. وَلِكُلِّ مَنْ حَوْلَكَ؟

- مَاذَا تَعْرِفُ عَنْ (ذَاتِكَ)؟؟؟

إِنَّكَ تَحْمِلُ فِي دَاخِلِكَ [كَيَانًا] كَيْنُونَةً إِنْسَانِيَّةً عَظِيمَةً [شَدِيدَةَ التَّعْقِيدِ]؛ فَمَاذَا تَعْرِفُ عَنْهَا؟

إِنَّهَا جَوْهَرَةٌ ثَمِينَةٌ كَرَّمَهَا اللهُ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ (الإِسْرَاء/ ٧٠).

"وَقَدْ جَمَعَتِ الآيَةُ خَمْسَ مِنَنٍ: التَّكْرِيم، وَتَسْخِير المَرَاكِبِ فِي البَرِّ، وَتَسْخِير المَرَاكِبِ فِي البَحْرِ، وَالرِّزْق مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَالتَّفْضِيل عَلَى كَثِيرٍ مِنَ المَخْلُوقَاتِ".

فَأَمَّا مِنَّةُ **التَّكْرِيمِ**؛ فَهِيَ مَزِيَّةٌ خَصَّ بِهَا اللهُ بَنِي آدَمَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ المَخْلُوقَاتِ الأَرْضِيَّةِ.

وَالتَّكْرِيمُ: جَعَلَهُ كَرِيمًا؛ أَيْ نَفِيسًا غَيْرَ مَبْذُولٍ وَلَا مُبْتَذَلٍ وَلَا ذَلِيلٍ فِي صُورَتِهِ وَلَا فِي حَرَكَةِ مَشْيِهِ وَلَا فِي بَشْرَتِهِ. وَرَكَّبَ فِيهِ الِاسْتِعْدَادَ لِمَا يَنْفَعُهُ، وَدَفْعَ مَا يَضُرُّهُ، وَشُعُورَهُ بِمَا فِي ذَاتِهِ وَعَقْلِهِ مِنَ المَحَاسِنِ فَيَسْتَزِيدُ مِنْهَا، وَالقَبَائِحِ فَيَسْتُرُهَا وَيَدْفَعُهَا، وَالقُدْرَةَ عَلَى المَعَارِفِ وَالصَّنَائِعِ وَعَلَى قَبُولِ التَّطَوُّرِ فِي أَسَالِيبِ حَيَاتِهِ وَحَضَارَتِهِ.

"وَقَدْ كَرَّمَ اللهُ هَذَا المَخْلُوقَ البَشَرِيَّ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ. كَرَّمَهُ بِخِلْقَتِهِ عَلَى تِلْكَ الهَيْئَةِ، بِهَذِهِ الفِطْرَةِ الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ الطِّينِ وَالنَّفْخَةِ؛ فَتَجْمَعُ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فِي ذَلِكَ الكَيَانِ!

وَكَرَّمَهُ بِالِاسْتِعْدَادَاتِ الَّتِي أَوْدَعَهَا فِطْرَتَهُ، وَالَّتِي اسْتَأْهَلَ بِهَا الخِلَافَةَ فِي الأَرْضِ؛ يُغَيِّرُ فِيهَا وَيُبَدِّلُ، وَيُنْتِجُ فِيهَا وَيُنْشِئُ، وَيُرَكِّبُ فِيهَا وَيُحَلِّلُ، وَيَبْلُغُ بِهَا الكَمَالَ المُقَدَّرَ لِلْحَيَاةِ.

وَكَرَّمَهُ بِتَسْخِيرِ القِوَى الكَوْنِيَّةِ لَهُ فِي الأَرْضِ، وَإِمْدَادِهِ بِعَوْنِ القِوَى الكَوْنِيَّةِ فِي الكَوَاكِبِ

وَالأَفْلَاكِ ..

وَكَرَّمَهُ بِذَلِكَ الِاسْتِقْبَالِ الفَخْمِ الَّذِي اسْتَقْبَلَهُ بِهِ الوُجُودُ، وَبِذَلِكَ المَوْكِبِ الَّذِي تَسْجُدُ فِيهِ المَلَائِكَةُ، وَيُعْلِنُ فِيهِ الخَالِقُ جَلَّ شَأْنُهُ تَكْرِيمَ هَذَا الإِنْسَانِ!

وَكَرَّمَهُ بِإِعْلَانِ هَذَا التَّكْرِيمِ كُلِّهِ فِي كِتَابِهِ المُنَزَّلِ مِنَ المَلَأِ الأَعْلَى البَاقِي فِي الأَرْضِ .. القُرْآنِ".

وَأَلْـهَمَ اللهُ "الإِنْسَانَ أَنْ يَطْعَمَ مَا يَشَاءُ مِمَّا يَرُوقُ لَهُ، وَجَعَلَ فِي الطُّعُومِ أَمَارَاتٍ عَلَى النَّفْعِ، وَجَعَلَ مَا يَتَنَاوَلَهُ الإِنْسَانُ مِنَ المَطْعُومَاتِ أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا يَتَنَاوَلَهُ غَيْرُهُ مِنَ الحَيَوَانِ الَّذِي لَا يَأْكُلُ إِلَّا أَشْيَاءَ اِعْتَادَهَا، عَلَى أَنَّ أَقْرَبَ الحَيَوَانِ إِلَى الإِنْسِيَّةِ وَالحَضَارَةِ أَكْثَرُهَا اتِّسَاعًا فِي تَنَاوُلِ الطُّعُومِ".

وَسَخَّرَ اللهُ لَهُ "النَّوَامِيسَ وَجَعَلَهَا مُوَافِقَةً لِطَبِيعَةِ الحَيَاةِ الإِنْسَانِيَّةِ وَمَا رُكِّبَ فِيهَا مِنِ اسْتِعْدَادَاتٍ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ النَّوَامِيسُ مُوَافِقَةً لِلطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ لَـمَا قَامَتِ الحَيَاةُ الإِنْسَانِيَّةُ؛ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ ضَئِيلَةٌ بِالقِيَاسِ إِلَى العَوَامِلِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ. وَلَكِنَّ الإِنْسَانَ مُزَوَّدٌ بِالقُدْرَةِ عَلَى الحَيَاةِ فِيهَا، وَمُزَوَّدٌ كَذَلِكَ بِالِاسْتِعْدَادَاتِ الَّتِي تُمَكِّنُهُ مِنِ اسْتِخْدَامِهَا. وَكُلُّهُ مِنْ فَضْلِ اللهِ".

وَفَضَّلَهُ اللهُ بِعِمَارَتِهِ فِي مُلْكِ الأَرْضِ الطَّوِيلِ العَرِيضِ. وَبِمَا رَكَّبَ فِي فِطْرَتِهِ مِنِ اسْتِعْدَادَاتٍ تَجْعَلُ المَخْلُوقَ الإِنْسَانِيَّ فَذًّا بَيْنَ الخَلَائِقِ فِي مُلْكِ اللهِ. . .

وَمِنَ التَّكْرِيمِ أَنْ يَكُونَ (الإِنْسَانُ) قَيِّمًا عَلَى نَفْسِهِ، مُحْتَمِلًا تَبِعَةَ اتِّجَاهِهِ وَعَمَلِهِ. فَهَذِهِ هِيَ الصِّفَةُ الأُولَى الَّتِي بِهَا كَانَ (الإِنْسَانُ) إِنْسَانًا؛ حُرِّيَّةُ الِاتِّجَاهِ وَفَرْدِيَّةُ التَّبِعَةِ.

فَقَدْ كَرَّمَ اللهُ بَنِي آدَمَ "بِجَمِيعِ وُجُوهِ الإِكْرَامِ؛ فَكَرَّمَهُمْ بِالعِلْمِ وَالعَقْلِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَإِنْزَالِ الكُتُبِ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ الأَوْلِيَاءَ وَالأَصْفِيَاءَ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ".

وَفَضَّلَهُم اللهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ المَخْلُوقَاتِ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنَ المَنَاقِبِ وَالفَضَائِلِ الَّتِي لَيْسَتْ لِغَيْرِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ المَخْلُوقَاتِ.

وَجُمَاعُ التَّفْضِيلِ: "تَمْكِينُ الإِنْسَانِ مِنَ التَّسَلُّطِ عَلَى جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ الأَرْضِيَّةِ بِرَأْيِهِ

وَحِيلَتِهِ، وَكَفَى بِذَلِكَ تَفْضِيلًا عَلَى البَقِيَّة .

وَالفَرْقُ بَيْنَ التَّفْضِيلِ وَالتَّكْرِيمِ بِالعُمُومِ وَالخُصُوصِ؛ فَالتَّكْرِيمُ مَنْظُورٌ فِيهِ إِلَى تَكْرِيمِهِ فِي ذَاتِهِ، وَالتَّفْضِيلُ مَنْظُورٌ فِيهِ إِلَى تَشْرِيفِهِ فَوْقَ غَيْرِهِ؛ عَلَى أَنَّهُ فَضَّلَهُ بِالعَقْلِ الَّذِي بِهِ اسْتِصْلَاحُ شُؤُونِهِ وَدَفْعُ الأَضْرَارِ عَنْهُ، وَبِأَنْوَاعِ المَعَارِفِ وَالعُلُومِ. هَذَا هُوَ التَّفْضِيلُ المُرَادُ".

وَإِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَهَبَهُ المَقْدِرَةَ عَلَى مَعْرِفَةِ (ذَاتِهِ)، وَالقُدْرَةَ عَلَى وَضْعِهَا فِي المَوْضِعِ اللَّائِقِ بِهَا، إِذْ أَنَّ جَهْلَ الإِنْسَانِ (كَيَانَهُ) وَعَدَمَ مَعْرِفَتِهِ بِـ(قُدُرَاتِهِ) يَجْعَلُهُ يُقَيِّمُ (ذَاتَهُ) تَقْيِيمًا خَاطِئًا؛ فَإِمَّا أَنْ يُعْطِيَهَا أَكْثَرَ مِمَّا تَسْتَحِقُّ فَيُثْقِلُ كَاهِلَهَا، وَإِمَّا أَنْ يَزْدَرِيَ (ذَاتَهُ) وَيُقَلِّلَ مِنْ قِيمَتِهَا فَيُسْقِطُ (نَفْسَهُ).

❁❁❁❁❁

إِنَّ إِيمَانَكَ بِـ(ذَاتِكَ) هُوَ أَعْظَمُ قُوَّةٍ لَدَيْكَ ... وَهُوَ أَهَمُّ دَعْمٍ سَوْفَ تَحْظَى بِهِ.

وَلَكِنْ تَنَبَّهْ: ثِقَتُكَ بِـ(ذَاتِكَ) هِيَ -دَائِمًا- مِنْ صُنْعِكَ (أَنْتَ).

وَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ فِيمَا وَهَبَهُ (اللهُ) لَكَ.

فَهَلْ تَعَرَّفْتَ عَلَى (قُدُرَاتِكَ) وَ(إِمْكَانِيَّتِكَ) عَلَى حَقِيقَتِهَا؟

"إِنَّ فِي النَّفْسِ لَدُرَرًا لَوِ اسْتَطَاعَ الإِنْسَانُ أَنْ يَكْتَشِفَهَا وَيُصْقِلَهَا لَتَغَيَّرَتْ حَيَاتُهُ نَحْوَ الأَفْضَلِ الشَّيْءَ الكَثِيرِ".

- مَاذَا تَعْرِفُ عَنْ نِقَاطِ ضَعْفِكَ؟ وَمَاذَا تَعْرِفُ عَنْ نِقَاطِ قُوَّتِكَ؟

نَعَمْ؛ لَا بُدَّ مِنَ التَّعَرُّفِ عَلَى نِقَاطَ القُوَّةِ؛ وَذَلِكَ لِتَنْمِيَتِهَا وَالتَّرَقِّي بِهَا. .. فَرَكِّزْ عَلَى نِقَاطِ قُوَّتِكَ، مَاذَا يُمْكِنُكَ فِعْلُهُ بِبَرَاعَةٍ لِيُسْهِمَ فِي عَمَلِكَ؟

نَمِّي اتِّجَاهًا لِلْفَوْزِ. .. فَيُمْكِنُ لِاخْتِلَافَاتٍ طَفِيفَةٍ فِي أَدَائِكَ أَنْ تُؤَدِّي إِلَى اخْتِلَافَاتٍ عَظِيمَةٍ فِي نَتَائِجِكَ.

وَلَا بُدَّ مِنَ التَّعَرُّفِ عَلَى نِقَاطَ الضَّعْفِ، وَذَلِكَ لِمُعَالَجَتِهَا وتَلَافِي المَشَاكِلِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَنْشَأَ

مِنْ خِلَالِ وُجُودِهَا. قَالَ **ابْنُ حَزْمٍ** فِي (الأَخْلَاق وَالسِّيَر) (ص٣٨):

لَوْ عَلِمَ النَّاقِصُ نَقْصَهُ؛ لَكَانَ كَامِلًا. وَقَالَ أَيْضًا: لَا يَخْلُو مَخْلُوقٌ مِنْ عَيْبٍ، فَالسَّعِيدُ مَنْ قَلَّتْ عُيُوبُهُ وَدَقَّتْ.

فَمَعْرِفَةُ الدَّاءِ تُعِينُ عَلَى وَصْفِ الدَّوَاءِ؛ قَالَ **ابْنُ المُقَفَّعِ**: مِنْ أَشَدِّ عُيُوبِ الإِنْسَانِ خَفَاءُ عُيُوبِهِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُهُ خَفِيَتْ عَلَيْهِ مَحَاسِنُ غَيْرِهِ.

وَمَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُ نَفْسِهِ، وَمَحَاسِنُ غَيْرِهِ؛ فَلَنْ يُقْلِعَ عَنْ عَيْبِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ، وَلَنْ يَنَالَ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ الَّتِي لَا يُبْصِرُ أَبَدًا.

وَقَالَ **مَحْمُودُ الوَرَّاقُ**:

أَتَمُّ النَّاسِ أَعْرَفُهُمْ بِنَقْصِهِ وَأَقْمَعُهُمْ لِشَهْوَتِهِ وَحِرْصِهِ

وَلَا يَكْفِي مُجَرَّدُ مَعْرِفَةِ العُيُوبِ؛ بَلْ لَا بُدَّ مِنَ السَّعْيِ فِي عِلَاجِهَا وَالخَلَاصِ مِنْهَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى**﴾ (الأَعْلَى/ ١٤)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**﴾ (الشَّمْس/ ٩).

قَالَ **ابْنُ حَزْمٍ** فِي (الأَخْلَاق وَالسِّيَر) (ص٦٥): العَاقِلُ مَنْ مَيَّزَ عُيُوبَ نَفْسِهِ؛ فَغَالَبَهَا، وَسَعَى فِي قَمْعِهَا، وَالأَحْمَقُ هُوَ الَّذِي يَجْهَلُ عُيُوبَ نَفْسِهِ؛ إِمَّا لِقِلَّةِ عِلْمِهِ وَتَمْيِيزِهِ، وَضَعْفِ فِكْرَتِهِ، وَإِمَّا لأَنَّهُ يُقَدِّرُ أَنَّ عُيُوبَهُ خِصَالٌ، وَهَذَا أَشَدُّ عَيْبٍ فِي الأَرْضِ.

❁❁❁❁❁

إِنَّ بَعْضَنَا قَدْ يَتَّجِهُ إِلَى اسْتِمْدَادِ (تَقْدِيرِهِ الذَّاتِيِّ) مِنَ خَارِجِهِ؛ فَيَجْعَلُ قِيمَتَهُ الذَّاتِيَّةَ مُرْتَبِطَةً بِنَوْعِ العَمَلِ، أَوْ بِمَا لَدَيْهِ مِنْ مَالٍ، أَوْ سُلْطَةٍ، أَوْ .. . وَهَذَا خَطَأٌ؛ لأَنَّ حَقِيقَةَ الاحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ يَجِبُ أَنْ تَنْبُعَ مِنَ النَّفْسِ؛ فَالشَّخْصُ الَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَى خَارِجِهِ فِي تَقْدِيرِ (ذَاتِهِ) قَدْ يَفْقِدُهَا يَوْمًا وَبِالتَّالِي يَفْقِدُ مَعَهَا (ذَاتَهُ)، فَالشُّعُورُ بِالتَّقْدِيرِ يَنْبَعِثُ مِنْ (ذَاتِكَ) وَلَا يُمْنَحُ لَكَ. فَلَوِ اخْتَرْنَا لأَنْفُسِنَا التَّقْدِيرَ وَأَكْسَبْنَاهَا الِاحْتِرَامَ؛ فَإِنَّنَا اخْتَرْنَا لَهَا الطَّرِيقَ المُحَفِّزَ لِبِنَاءِ (التَّقْدِيرِ الذَّاتِيِّ).

فَـ(تَقْدِيرُ الذَّاتِ) يَظْهَرُ فِي طَرِيقَةِ مُعَامَلَتِكَ لِنَفْسِكَ وَاحْتِرَامِهَا، فَهُوَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ القِيَمِ وَالتَّفْكِيرَاتِ وَالمَشَاعِرِ الَّتِي نَمْلِكُهَا حَوْلَ أَنْفُسِنَا. فَـ(التَّقْدِيرُ الذَّاتِيُّ) يَعُودُ إِلَى مِقْدَارِ رُؤْيَةِ الإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ، وَكَيْفَ يَشْعُرُ تُجَاهَهَا.

وَيُقَسِّمُ عُلَمَاءُ النَّفْسِ (**التَّقْدِيرَ الذَّاتِيَّ**) إِلَى قِسْمَيْنِ: مُكْتَسَب، وَشَامِل.

ـ التَّقْدِيرُ الذَّاتِيُّ المُكْتَسَبُ: هُوَ التَّقْدِيرُ الذَّاتِيُّ الَّذِي يَكْتَسِبُهُ الشَّخْصُ خِلَالَ إِنْجَازَاتِهِ وَمَا أَدَّى مِنْ نَجَاحَاتٍ. فَهُنَا بِنَاءُ التَّقْدِيرِ الذَّاتِيِّ عَلَى مَا يُحَصِّلُهُ مِنْ إِنْجَازَاتٍ.

ـ التَّقْدِيرُ الذَّاتِيُّ الشَّامِل: يَعُودُ إِلَى الحِسِّ العَامِّ لِلافْتِخَارِ بِالذَّاتِ، فَلَيْسَ مَبْنِيًّا أَسَاسًا عَلَى مَهَارَةٍ مُحَدَّدَةٍ أَوْ إِنْجَازَاتٍ مُعَيَّنَةٍ. فَهُوَ يَعْنِي أَنَّ الأَشْخَاصَ الَّذِينَ أَخْفَقُوا فِي حَيَاتِهِمْ العَمَلِيَّةِ لَا يَزَالُونَ يَنْعَمُونَ بِدِفْءِ (التَّقْدِيرِ الذَّاتِيِّ العَامِّ)، وَحَتَّى وَإِنْ أُغْلِقَ فِي وُجُوهِهِمْ بَابُ الاِكْتِسَابِ.

وَالاِخْتِلَافُ الأَسَاسِيُّ بَيْنَ المُكْتَسَبِ وَالشَّامِلِ يَكْمُنُ فِي التَّحْصِيلِ وَالإِنْجَازِ الأَكَادِيمِيِّ، فَفِكْرَةُ (التَّقْدِيرِ الذَّاتِيِّ المُكْتَسَبِ) تَقُولُ: إِنَّ (الإِنْجَازَ) يَأْتِي أَوَّلًا ثُمَّ يَتْبَعُهُ (التَّقْدِيرُ الذَّاتِيُّ). بَيْنَمَا فِكْرَةُ (التَّقْدِيرِ الذَّاتِيِّ الشَّامِلِ) -وَالَّتِي هِيَ أَعَمُّ مِنْ حَيْثُ المَدَارِس- تَقُولُ: إِنَّ (التَّقْدِيرَ الذَّاتِيَّ) يَكُونُ أَوَّلًا ثُمَّ يَتْبَعُهُ (التَّحْصِيلُ وَ(الإِنْجَازُ).

❁❁❁❁❁

قَالَ **الرَّافِعِيُّ** فِي وَحْيِ القَلَمِ (١ / ٥٠): إِذَا اسْتَقْبَلْتَ العَالَمَ بِالنَّفْسِ الوَاسِعَةِ رَأَيْتَ حَقَائِقَ السُّرُورِ تَزِيدُ وَتَتَّسِعُ، وَحَقَائِقَ الهُمُومِ تَصْغُرُ وَتَضِيقُ، وَأَدْرَكْتَ أَنَّ دُنْيَاكَ إِذَا ضَاقَتْ فَأَنْتَ الضَّيِّقُ لَا هِيَ.

❁❁❁❁❁

قَالَ **ابْنُ حَزْمٍ** فِي (الأَخْلَاقِ وَالسِّيَرِ) (ص ٣١):

"لَمْ أَرَ لِإِبْلِيسَ أَصْيَدَ وَلَا أَقْبَحَ وَلَا أَحْمَقَ مِنْ كَلِمَتَيْنِ أَلْقَاهَا عَلَى أَلْسِنَةِ دُعَاتِهِ:

إِحْدَاهُمَا: اِعْتِذَارُ مَنْ أَسَاءَ بِأَنَّ فُلَانًا أَسَاءَ قَبْلَهُ. [«فَلَا يَكُنْ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً»]

وَالثَّانِيَةُ: اِسْتِسْهَالُ الإِنْسَانِ أَنْ يُسِيءَ اليَوْمَ؛ لأَنَّهُ قَدْ أَسَاءَ أَمْسَ، أَوْ أَنْ يُسِيءَ فِي وَجْهٍ مَا؛ لأَنَّهُ قَدْ أَسَاءَ فِي غَيْرِهِ.

فَقَدْ صَارَتْ هَاتَانِ الكَلِمَتَانِ عُذْرًا مُسَهِّلَتَيْنِ لِلشَّرِّ، وَمُدْخِلَتَيْنِ لَهُ فِي حَدِ مَا يُعْرَفُ وَيَجْمُلُ؛ وَلَا يُنْكَرُ."

عُلُوُّ الهِمَّةِ

يَقُولُ ابْنُ القَيِّمِ: «كَمَالُ الإِنْسَانِ بِهِمَّةٍ تُرَقِّيهِ، وَعِلْمٍ يُبَصِّرُهُ وَيَهْدِيهِ».

يَا عَالِيَ الهِمَّةِ! ...

كُلَّمَا تَعَاظَمَتِ الهِمَمُ تَصَاغَرَتِ الجُثَثُ .. وَتَفَاوُتُ النَّاسِ بِالهِمَمِ لَا بِالصُّوَرِ ..

إِنْ هَمَمْتَ فَبَادِر .. وَإِنْ عَزَمْتَ فَثَابِرْ .. تَدَّعِي وَتَتَوَانَى؛ هَذَا مُحَالٌ .. فَأَيْنَ عَزَائِمُ الرِّجَالِ وَصَرَائِمُ الأَبْطَالِ؟ .. لَا يَحْصُلُ خَطِيرٌ إِلَّا بِخَطَرٍ، مَا العِزُّ إِلَّا تَحْتَ ثَوْبِ الكَدِّ، وَعَلَى قَدْرِ الِاجْتِهَادِ تَعْلُو الرُّتَبِ، فَالدُّرُّ فِي عُقْرِ اليَمِّ .. وَمَنْ طَلَبَ الأَنْفَسَ هَجَرَ الأَلَذَّ، وَمَنِ اهْتَمَّ بَالجَوْهَرِ نَسِيَ العَرَضَ .. وَمَنْ كَدَّ كَدَّ العَبِيدِ تَنَعَّمَ تَنَعُّمَ الأَحْرَارِ.

مَنْ لَمْ تَبْكِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ لَمْ تَضْحَكِ الآخِرَةُ إِلَيْهِ .. شَجَرُ المَكَارِهِ يُثْمِرُ المَكَارِمَ .. وَأَتْعَبُ النَّاسِ مَنْ جَلَّتْ مَطَالِبُهُ .. وَمَنْ عَرَفَ قَدْرَ مَطْلُوبِهِ سَهُلَ عَلَيْهِ بَذْلُ مَجْهُودِهِ .. وَاعْلَمْ أَنَّهُ بِقَدْرِ مَا تَتَعَنَّى؛ تَنَالُ مَا تَتَمَنَّى، فَـ(المَرْء بِقَدْرِ مَا يَتَمَنَّى يَتَعَنَّى)، وَ(النَّعِيم لَا يُدْرَكُ بِالنَّعِيمِ)، وَلَنْ تَنَالَ الرَّاحَةَ إِلَّا بَعْدَ مَرَارَةِ التَّعَبِ .. وَكُلَّمَا كَانَتِ الأُمْنِيَاتُ عَالِيَةً؛ بَذَلَ الإِنْسَانُ وَتَعِبَ مِنْ أَجْلِهَا.

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الأَجْسَامُ

وَقَالَ المُتَنَبِّي:

وَأَحْسَنُ وَجْهٍ فِي الوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ وَأَيْمَنُ كَفٍّ فِيهِمُ كَفُّ مُنْعِمِ

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً وَأَكْثَرَ إِقْدَامًا عَلَى كُلِّ مُعْظَمِ

وَ(الرَّاحَة لِلرِّجَالِ غَفْلَةٌ)!

فَشَمِّرْ عَنْ سَوْقِ الجِدِّ فِي سُوقِ العَزَائِمِ، وَانْظُرْ إِلَى مَطْلُوبِكَ وَلَا تَنْشَغِلْ بِغَيْرِهِ.

وَهَلْ يَلْحَقُ السَّابِقِينَ كَسْلَانُ أَعْرَجُ؟!!!

مَعْنَى (الهِمَّة)؛ هِيَ: مُشْتَقَّةٌ مِنَ (الهَمّ)، وَ(الهَمّ)؛ هُوَ مَا يُهَمُّ بِهِ مِنْ أَمْرٍ لِيُفْعَلَ. وَقِيلَ: (الهِمَّةُ) هِيَ: أَوَّلُ العَزْمِ. وَقَدْ تُطْلَقُ عَلَى العَزْمِ القَوِيِّ؛ فَيُقَالُ: بِهِ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ. وَقَالُوا: هَمُّكَ مَا أَهَمَّكَ.

وَهِيَ: البَاعِثُ عَلَى الفِعْلِ، وَتُوصَفُ بِعُلُوٍّ أَوْ سُفُولٍ؛ فَيُقَالُ: هِمَّةٌ عَالِيَةٌ .. وَهِمَّةٌ سَافِلَةٌ.

قَالَ **أَحَدُ الصَّالِحِينَ**: هِمَّتُكَ فَاحْفَظْهَا، فَإِنَّ الهِمَّةَ مُقَدَّمَةُ الأَشْيَاءِ، فَمَنْ صَلُحَتْ لَهُ هِمَّتُهُ وَصَدَقَ فِيهَا؛ صَلَحَ لَهُ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الأَعْمَالِ.

وَقِيلَ: عُلُوُّ الهِمَّةِ: "هُوَ اِسْتِصْغَارُ مَا دُونَ النِّهَايَةِ مِنْ مَعَالِي الأُمُورِ"، وَقِيلَ: "خُرُوجُ النَّفْسِ إِلَى غَايَةِ كَمَالِهَا المُمْكِنِ لَهَا فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ".

وَقَالَ **الجُرْجَانِيُّ**: الهِمَّةُ: تَوَجُّهُ القَلْبِ وَقَصْدُهُ بِجَمِيعِ قِوَاهُ الرُّوحَانِيَّةُ إِلَى جَانِبِ الحَقِّ؛ لِحُصُولِ الكَمَالِ أَوْ لِغَيْرِهِ".

وَالهِمَّةُ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ، وَالقَلْبُ لَا سُلْطَانَ عَلَيْهِ لِغَيْرِ صَاحِبِهِ، وَكَمَا أَنَّ الطَّائِرَ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ؛ كَذَلِكَ يَطِيرُ المَرْءُ بِهِمَّتِهِ، فتحلق به إلى أعلى الآفاق، طليقةً من القيود التي تكبل الأجساد..

إِنْ يَسْلُبِ القَوْمُ العِدَا مُلْكِي وَتُسْلِمنِي الجُمُوعْ
فَالقَلْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ لَمْ تُسْلِمِ القَلْبَ الضُلُوعْ

وَنَقَلَ **ابْنُ قُتَيْبَةَ** عَنْ بَعْضِ كُتُبِ الحِكْمَةِ:

"ذُو الهِمَّةِ إِنْ حُطَّ؛ فَنَفْسُهُ تَأْبَى إِلَّا عُلُوًّا، كَالشُّعْلَةِ مِنَ النَّارِ يُصَوِّبُهَا صَاحِبُهَا، وَتَأْبَى إِلَّا اِرْتِفَاعًا".

وَقَالَ **ابْنُ القَيِّمِ** -رَحِمَهُ اللهُ: "وَ(الهِمَّةُ) فِعْلَةٌ مِنَ (الهَمِّ)، وَهُوَ مَبْدَأُ الإِرَادَةِ، وَلَكِنْ خَصُّوهَا بِنِهَايَةِ الإِرَادَةِ، فَـ(الهَمُّ) مَبْدَؤُهَا، وَ(الهِمَّةُ) نِهَايَتُهَا"، .. وَسَمِعْتُ شَيْخَ الإِسْلَامِ **ابْنَ تَيْمِيَّةَ** -رَحِمَهُ اللهُ- يَقُولُ: "وَالعَامَّةُ تَقُولُ: قِيمَةُ كُلِّ اِمْرِيءٍ مَا يُحْسِنُهُ، وَالخَاصَّةُ تَقُولُ: قِيمَةُ المَرْءِ مَا يَطْلُبُهُ، يُرِيدُ أَنَّ قِيمَةَ المَرْءِ هِمَّتُهُ وَمَطْلَبُهُ". وَانْظُرْ: (مَدَارِج السَّالِكِينَ ٣/ ٣)

فَـ(الهَمُّ) مَبْدَأُهَا، وَ(الهِمَّةُ) نِهَايَتُهَا، وَالجَامِعُ بَيْنَهُمَا أَنَّهُمَا -أَيْ: الهَمّ وَالهِمَّة- أَمْرٌ نَفْسِيٌّ يَبْعَثُ عَلَى العَمَلِ، فَأَوَّلُهُ وَبِدَايَتُهُ (هَمٌّ)، وَنِهَايَتُهُ أَيِّ الَّتِي تَكُونُ أَعْلَى مَرَاتِبِهِ وَأَسْمَى مَقَاصِدِهِ هِيَ (الهِمَّةُ)".

وَيَقُولُ **اِبْنُ الجَوْزِيِّ** -رحمه الله:

"وَقَدْ عُرِفَ بِالدَّلِيلِ أَنَّ (الهِمَّةَ) مَوْلُودَةٌ مَعَ الآدَمِيِّ، وَإِنَّمَا تَقْصُرُ فِيهِ. تَقْصُرُ بَعْضُ الهِمَمِ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ .. تَفْتُرُ أَوْ تَقْتُرُ، فَإِذَا حُثَّتْ سَارَتْ.

فَمَتَى رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ عَجْزًا فَسَلِ المُنْعِمَ، أَوْ كَسَلًا فَسَلِ المُوَفِّقَ ..

فَلَنْ تَنَالَ خَيْرًا إِلاَّ بِطَاعَتِهِ فَمَنِ الَّذِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرِدْ كُلَّ مُرَادِ"

فَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ هِمَّتُهُ عَالِيَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ قَاصِرَةً إِلَى أَسْوَأِ الدَّرَجَاتِ.

وَقَدْ وَصَّى اللهُ تَعَالَى يَحْيَى عليه السلام بِبَذْلِ الجُهْدِ؛ فَقَالَ: ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ**﴾ (مَرْيَم/ ١٢)

فَتِّشْ عَنْهَا بَيْنَ جَنْبَيْكَ .. اِبْحَثْ عَنْهَا فِي أَعْمَاقِ نَفْسِكَ .. إِنَّهَا فِي قَلْبِكَ .. إِنَّهَا أَمْرٌ لَا تَسْتَجْلِبُهُ مِنْ خَارِجِكَ .. بَلْ تَسْتَنْطِقُهُ وَتَسْتَحِثُّهُ مِنْ دَاخِلِكَ.

هُوَ خُلُقٌ عَظِيمٌ، وَغَايَةٌ كَرِيمَةٌ؛ تَتَعَشَّقُهُ النُّفُوسُ الكَبِيرَةُ، وَتَهْفُو إِلَيْهِ الفِطَرُ السَّلِيمَةُ.

إِنَّهُ جَذْوَةٌ تُوقِدُ فِي القَلْبِ مِصْبَاحَ الهِمَّةِ فِي دَيَاجِيرِ الغَفْلَةِ المُدْلَهِمَّةِ، إِنَّهَا صَيْحَةٌ تَغْرِسُ بَذْرَةَ الأَمَلِ فِي بَيْدَاءِ اليَأْسِ.

(عُلُوّ الهِمَّةِ) يَعْنِي الجِدَّ وَالعَمَلَ وَعَدَمَ التَّرَاخِي وَالكَسَل .. هُوَ نَفْسٌ طَمَّاحَةٌ وَثَّابَةٌ لَا تَرْضَى بِالدُّونِ؛ كَمَا يَقُولُ **اِبْنُ الجَوْزِيِّ**: «مِنْ عَلَامَةِ كَمَالِ العَقْلِ: عُلُوُّ الهِمَّةِ، وَالرَّاضِي بِالدُّونِ دَنِيءٌ»..

فَالنَّاسُ إِنَّمَا تَعْلُو أَقْدَارُهُمْ، وَتَرْتَفِعُ مَنَازِلُهُمْ؛ بِحَسَبِ عُلُوِّ هِمَمِهِمْ وَشَرِيفِ مَقَاصِدِهِمْ، قَالَ بَعْضُهُمْ: عُلُوُّ الهِمَّةِ هُوَ اسْتِصْغَارُ مَا دُونَ النِّهَايَةِ مِنْ مَعَالِي الأُمُورِ.

وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ المُؤْمِنَ لَا تَنْتَهِي إِنْجَازَاتُهُ فِي أُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، بَلْ كُلَّمَا انْتَهَى مِنْ إِنْجَازٍ

سَعَى إِلَى آخَرَ، وَهَكَذَا حَالُ صَاحِبِ الهِمَّةِ العَالِيَةِ.

فَمِنْ سَمْتِ النَّاجِحِينَ أَنَّهُمْ أُولِي هِمَمٍ عَالِيَةٍ .. وَإِصْرَارٍ وَعَزِيمَةٍ، وَطَرِيقُ النَّجَاحِ لَيْسَ مَفْرُوشًا بِالوُرُودِ وَالرَّيَاحِينِ، بَلْ يَحْتَاجُ إِلَى جَهْدٍ كَبِيرٍ وَتَعَبٍ وَبَذْلٍ لِإِدْرَاكِهِ، وَالتَّحَلِّي بِالصَّبْرِ، وَتَحَمُّلِ الأَلَمِ، وَلَيْسَ التَّذَمُّرُ وَالخَوْفُ وَالِاسْتِسْلَامُ .. فَالآمَالُ وَالأَحْلَامُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَقَّقَ إِلَّا بِذَلِكَ. وَأَشَدّ مَا يَحُولُ بَيْنَ الإِنْسَانِ وَبَيْنَ تَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ: خَوَرُ العَزِيمَةِ؛ فَأَمَامَ الحَجْمِ وَالجَهْدِ الكَبِيرِ وَالمَشَقَّةِ وَالتَّعَبِ الَّذِي يَتَطَلَّبُهُ النَّجَاحُ؛ لَا يَصْبِرُ .. وَتَنْحَلُّ قَوَاهُ وَعَزِيمَتُهُ؛ فَيَتْرُكُ أَهْدَافَهُ وَيَقْعُدُ عَنِ العَمَلِ، وَمِنْ ثَمَّ فَلَا يُحَاوِلُ أَنْ يَضَعَ لَهُ أَهْدَافًا أُخْرَى.

فَـ(أَصْحَابُ الهِمَمِ) هُمْ مَنْ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِمْ وَتُنَاطُ بِهِمُ الأُمُورِ الصَّعْبَةِ، وَصَارُوا قُدْوَةً لِلنَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ، وَيَسْمُو بِهِمْ خُلُقُهُمْ إِلَى المَعَالِي.

فَأَصْحَاب (الهِمَّةِ العَالِيَةِ) هُمُ الصَّفْوَةُ؛ الَّتِي تُبَاشِرُ مَهَمَّةَ (الِانْتِشَال السَّرِيع) مِنْ وَحْلِ (الوَهَنِ)، وَوَهْدَةِ (الإِحْبَاطِ) .. هُمُ القِلَّةُ القَادِرَةُ [بَعْدَ الِاسْتِعَانَةِ بِالله] عَلَى مُجَابَهَةِ أَيِّ مَوْقِفٍ أَوْ أَزْمَةٍ .. هُمُ القَادِرُونَ عَلَى البَذْلِ وَالعَطَاءِ وَالجِهَادِ وَالتَّضْحِيَةِ فِي سَبِيلِ المَقْصِدِ الأَعْلَى؛ مِمَّا يُسَاهِمُ عَلَى تَبْدِيلِ الأَفْكَارِ فِي العَالَمِ، وَتَغْيِيرِ مَجْرَى الحَيَاةِ.

هَذَا زَمَانٌ لَا تَوَسُّطَ عِنْدَهُ يَبْغِي المُغَامِرُ عَالِيًا وَجَلِيلَا
كُنْ سَابِقًا فِيهِ أَوِ ابْقَ بِمَعْزِلٍ لَيْسَ التَّوَسُّطُ لِلنُّبُوغِ سَبِيلَا

وَمَنْ يَذُوقُ طَعْمَ النَّجَاحِ تَهُونُ عَلَيْهِ الصِّعَابُ فِي طَرِيقِهِ، بَلْ يَكُونُ ذَلِكَ أَشْهَى إِلَى نَفْسِهِ وَأَلَذَّ مِنْ طَعْمِ الرَّاحَةِ وَالدَّعَةِ وَالسُّكُونِ. فَمَنْ يُرِيدُ شَهْدَ العَسَلِ فَلْيَحْتَمِلْ لَسَعَاتِ إِبَرِ النَّحْلِ.

❁❁❁❁❁❁

وَهَذِهِ سُنَّةُ الله تَعَالَى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (العَنْكَبُوت/ ٦٩).

يَقُولُ **ابْنُ القَيِّمِ** -رَحِمَهُ اللهُ- في (مَدَارِجِ السَّالِكِينَ) (١/٤٥٧):

"لَابُدَّ لِلسَّالِكِ مِنْ هِمَّةٍ تُسَيِّرُهُ وَتُرَقِّيهِ، وَعِلْمٍ يُبَصِّرُهُ وَيَهْدِيهِ. فَلَابُدَّ لِكُلِّ طَالِبِ عِلْمٍ بِجَانِبِ عِلْمِهِ مِنْ هِمَّةٍ تُسَيِّرُهُ وَتُرَقِّيهِ فِي مَدَارِجِ الطَّلَبِ؛ بِهَا يَسْتَعْلِي طَالِبُ العِلْمِ عَلَى سَفَاسِفِ الأُمُورِ، وَيَتَحَلَّى بِإِرَادَةٍ مِنْ حَدِيدٍ؛ إِذْ هُوَ مُقْدِمٌ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٌ حَالُهُ، خَطِيرٌ شَأْنُهُ؛ أَلَا وَهُوَ: وِرَاثَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّعْلِيمِ وَالدَّعْوَةِ وَالبَلَاغِ.

فَلَا يَصْلُحُ لِهَذِهِ المَنْزِلَةِ مَنْ سَفُلَتْ هِمَّتُهُ؛ فَحَامَتْ حَوْلَ الدَّنَايَا، أَوْ ضَعُفَتْ إِرَادَتُهُ؛ فَانْكَسَرَتْ أَمَامَ الصِّعَابِ وَالبَلَايَا ... وَصَاحِبُ (الهِمَّةِ العَالِيَةِ) أَمَانِيهِ حَائِمَةٌ حَوْلَ العِلْمِ وَالإِيمَانِ، وَالعِلْمِ الَّذِي يُقَرِّبُهُ إِلَى اللهِ وَيُدْنِيهِ مِنْ جِوَارِهِ، فَأَمَانِيُّ هَذَا إِيمَانٌ وَنُورٌ وَحِكْمَةٌ، وَأَمَانِيُّ أُولَئِكَ خِدَعٌ وَغُرُورٌ".

قَالَ **سَامِي البَارُودِي**:

وَمَنْ تَكُنِ الْعَلْيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ

إِنَّهَا الهِمَمُ العَالِيَةُ الَّتِي لَا تَرْضَى بِدُونِ الجَنَّةِ ثَمَنًا؛ لِذَلِكَ قَالَ **ابْنُ الجَوْزِيِّ** -رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّ العُمْرَ غَالٍ؛ فَلَا تَقْبَلْ لِلْعُمْرِ ثَمَنًا إِلَّا الجَنَّةَ.

إِنَّ النَّاسَ تَخْتَلِفُ فِي أَمْرَيْنِ: يَخْتَلِفُونَ فِي مَطَالِبِهِمْ، فِي أَهْدَافِهِمْ، فِي غَايَاتِهِمْ.

وَكَذَلِكَ يَخْتَلِفُونَ فِي الهِمَمِ الَّتِي تُوَصِّلُهُمْ إِلَى أَهْدَافِهِمْ وَمَقَاصِدِهِمْ.

فَهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي المَطَالِبِ وَالمَقَاصِدِ، وَفِي الهِمَمِ المُوَصِّلَةِ إِلَى ذَلِكَ؛ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَكَلَّمُ عَنْ أَهْدَافٍ عَالِيَةٍ، وَمَقَاصِدٍ سَامِيَةٍ؛ وَلَكِنَّ الأَفْعَالَ لَا تُصَدِّقُ الأَقْوَالَ، فَهَذَا مَغْرُورٌ بِالأَمَانِي؛ "وَمَا نَيْلُ المَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي" .. فَهَذَا (يَتَمَنَّى وَلَكِنْ لَا يَتَعَنَّى).

وَآخَرُونَ رُبَّمَا لَا يَتَكَلَّمُونَ وَلَكِنَّ أَفْعَالَهُمْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ أَصْحَابُ هِمَمٍ عَالِيَةٍ، مَا عِنْدَهُمْ تَرَدُّدٌ وَلَا تَكَاسُلٌ وَلَا تَهَاوُنٌ.

فَالنَّاسُ تَتَفَاوَتُ فِي غَايَاتِهَا وَأَهْدَافِهَا، وَتَتَفَاوَتُ فِي هِمَمِهَا الَّتِي تُوَصِّلُهَا إِلَى تِلْكَ

الأَهْدَافِ.

وَ(عُلُوّ الهِمَّةِ) عَلَى قِسْمَيْنِ:

الأَوَّل: رَجُلٌ يَشْعُرُ بِأَنَّ فِيهِ الكِفَايَةَ لِعَظَائِمِ الأُمُورِ، وَيَجْعَلُهَا هِمَّتَهُ؛ وَهَذَا مَا يُسَمَّى (عَظِيم الهِمَّةِ).

الثَّانِي: رَجُلٌ فِيهِ الكِفَايَةَ لِعَظَائِمِ الأُمُورِ، وَلَكِنَّهُ يَحْتَقِرُ نَفْسَهُ فَيَضَعُ هَمَّهُ فِي سَفَاسِفِ الأُمُورِ وَصَغَائِرِهَا، وَهَذَا مَا يُسَمَّى (صَغِير الهِمَّةِ)؛ قَالَ **المُتَنَبِّيُ**:

وَلم أرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ القَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

❁❁❁❁❁

وَقَدْ حَرِصَ الإِسْلَامُ عَلَى التَّحَلِّي بِهَذَا الخُلُق، وَدَعَا إِلَى التَّنَافُسِ وَالتَّسَابُقِ إِلَى المَجْدِ وَالمَعَالِي؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (آل عِمْرَان/ ١٣٣)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ**﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾ (الصَّافَّات/ ٦١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ (المُطَفِّفِينَ/ ٢٦).

وَبَيَّنَ اللهُ ﷻ فَضْلَ المُجَاهِدِينَ -أَصْحَابِ الهِمَمِ العَالِيَةِ- عَلَى القَاعِدِينَ المُؤثِرِينَ لِلرَّاحَةِ وَالدَّعَةِ؛ فَقَالَ: ﴿**لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (النِّسَاء/ ٩٥)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى**﴾ (الحَدِيد/ ١٠).

وَلَقَدْ تَوَارَدَتْ نُصُوصُ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَى حَثِّ المُؤْمِنِينَ عَلَى اِرْتِيَادِ مَعَالِي الأُمُورِ، وَالتَّسَابُقِ فِي الخَيْرَاتِ، وَتَحْذِيرِهِمْ مِنْ سُقُوطِ الهِمَّةِ، وَتَنَوَّعَتْ أَسَالِيبُ القُرْآنِ فِي ذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ * مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ (الأَعْرَاف/ ١٧٥-١٧٧).

وَمِنْهَا: ثَنَاؤُهُ ﷻ عَلَى أَصْحَابِ الهِمَمِ العَالِيَةِ؛ وَفِي طَلِيعَتِهِمُ الأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ خَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (الأَحْقَاف/ ٣٥).

وَمِنْهَا: أَنَّهُ عَبَّرَ ﷻ عَنْ أَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ كَبُرَتْ هِمَّتُهُمْ بِوَصْفِ الرِّجَالِ فِي مَوَاطِنِ البَأْسِ وَالجَلَدِ، وَالعَزِيمَةِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالقُوَّةِ فِي دِينِ اللهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ**﴾ (النُّور/ ٣٦-٣٧).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ (الأَحْزَاب/ ٢٣).

وَمِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى: يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا**». [رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ مِنْ حَدِيثِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الجَامِعِ (ح ٢٧٧١)] ، أَيْ: الحَقِيرُ الرَّدِيءُ مِنْهَا.

وَانْظُرِ إِلَى سِيرَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَسِيرَتُهُ خَيْرُ أُسْوَةٍ لِطَالِبِ الهِمَّةِ، فَهُوَ ﷺ أَعْظَمُ البَشَرِ مَكَانَةً، وَأَرْفَعُهُمْ شَرَفًا وَمَجْدًا، وَأَعْلَاهُمْ هِمَّةً وَعَزِيمَةً فِي عِبَادَاتِهِ وَطَاعَاتِهِ وَجِهَادِهِ، .. وَانْظُرْ إِلَى مَا حَقَّقَهُ فِي رُبْعِ قَرْنٍ فَقَطْ مِنَ الزَّمَانِ، وَمِنْ بَعْدِهِ الخُلَفَاء وَالصَّحَابَة وَالسَّلَف الصَّالِح، وَمَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنَ المَرَاتِبِ العُلْيَا فِي العِلْمِ وَالعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ وَالبُعدِ عَنْ سَفَاسِفِ الأُمُورِ.

فَكَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ أَعْلَى النَّاسِ هِمَّةً؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾ (المُزَّمِّل/ ٤)

وَقَالَ ﷺ يُوصِي أَصْحَابَهُ: «**إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ؛ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ**». [صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الجَامِعِ ٥٩٢].

وَقَالَ ﷺ: «... **فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**». رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

❁❁❁❁❁

وَكَانَ لِتَرْبِيَتِهِ ﷺ الصَّحَابَةَ الأَبْرَارَ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي التَّطَلُّعِ إِلَى مَعَالِي الأُمُورِ...

فَأَيَّةُ هِمَّةٍ أَعْظَمُ مِنْ هِمَمِ الصَّحَابَةِ

فَهَذِهِ **أُمُّ عُمَارَةَ نُسَيبَةُ بِنْتُ كَعْبِ المَازِنِيَّةُ** [وَكَانَتْ مِمَّنْ شَهِدَ بَيْعَةَ الْعَقَبَة] الَّتِي قَاتَلَتْ يَوْمَ أُحُدٍ قِتَالًا مَجِيدًا، وَخَاضَتْ فِي أَعْدَاءِ اللهِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً، وَجُرِحَتْ اثْنَيْ عَشْرَ جُرْحًا وَهِيَ تَذُودُ وَتُدَافِعُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَهَذِهِ هِمَّةُ **الفَارُوقِ عُمَرَ** ﷺ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عَظَمَةِ هِمَّتِهِ فِي طَلَبِ الحَقِّ أَنْ قَالَ لَهُ **عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ** ﷺ: «لَقَدْ أَذْلَلْتَ الخُلَفَاءُ بَعْدَكَ؛ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ!».

وَكَانَ ﷺ يَحُثُّ أَصْحَابَهُ عَلَى الهِمَّةِ العَالِيَةِ وَالمُسَابَقَةِ إِلَى الدَّرَجَاتِ العَالِيَةِ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ؛ قَالَ: فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا المُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ

وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**»، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**»، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟! قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟!**». قَالَ: لاَ وَاللهِ! يَا رَسُولَ اللهِ! إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَمِنَ الأَمْثِلَةِ عَلَى الهِمَّةِ العَالِيَةِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ ، لَئِنِ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ «اللَّهُمَّ! إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ -يَعْنِي أَصْحَابَهُ- وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ» -يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ- ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ! الْجَنَّةَ، وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ». قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ -يَا رَسُولَ اللهِ- مَا صَنَعَ. قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ. قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ. (الأحْزَاب/ ٢٣).

وَتَارِيخُنَا -بِحَمْدِ اللهِ- حَافِلٌ بِأَمْثَالِ هَؤُلاَءِ:

هِمَّة رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الأَسْلَمِيِّ ﷺ؛ فَعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَلْنِي أُعْطِكَ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنْظِرْنِي أَنْظُرْ فِي أَمْرِي. قَالَ: «**فَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ**».

قَالَ: نَظَرْتُ؛ فَقُلْتُ: إِنَّ أَمْرَ الدُّنْيَا يَنْقَطِعُ فَلاَ أَرَى شَيْئًا خَيْرًا مِنْ شَيْءٍ آخُذُهُ لِنَفْسِي لآخِرَتِي. فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: «**مَا حَاجَتُكَ؟**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! اشْفَعْ لِي إِلَى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَلْيُعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ. فَقَالَ: «**مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا؟**». فَقُلْتُ: لاَ وَاللهِ؛ يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ وَلَكِنِّي نَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَرَأَيْتُ أَنَّ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ مِنْ أَهْلِهَا فَأَحْبَبْتُ أَنْ آخُذَ لآخِرَتِي. قَالَ: «**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ؛ فَقَالَ لِي: «سَلْ». فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «**أَوَغَيْرَ ذَلِكَ**». قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**».

رَوَاهُ أَحْمَدُ (٥٩/٤ ح ١٦٦٢٨)، وَمُسْلِمٌ (٣٥٣/١ ح ٤٨٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٥/٢ ح ١٣٢٠)، وَالنَّسَائِيُّ (٢٢٧/٢ ح ١١٣٨).

فَشَتَّانَ بَيْنَ مَنْ يَطْلُبُ الجَنَّةَ وَبَيْنَ مَنْ يَطْلُبُ تَوَافِهَ الأُمُورِ.

وَانْظُرْ أَيْضًا: مَا قَالَهُ مَسْرُوقٌ عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ** ﷺ أَنَّهُ قَالَ: وَاللهِ! مَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ؛ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَ نَزَلَتْ؟ وَأَيْنَ نَزَلَتْ؟ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ المَطَايَا؛ لَأَتَيْتُهُ.

❁❁❁❁❁

وَقَالَ **الشَّافِعِيُّ** -رَحِمَهُ اللهُ:

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِي طَلَبِ العُلاَ وَسَافِرْ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَةُ مَاجِدِ

❁❁❁❁❁

وَمِمَّا يُقَوِّي عَزِيمَتَكَ عَلَى التَّفَوُّقِ وَالنَّجَاحِ؛ أَنْ يَكُونَ لَكَ هَدَفٌ تَسْعَى إِلَيْهِ، وَأَنْ تَضَعَ نُصْبَ عَيْنَيْكَ النَّمَاذِجَ البَرَّاقَةَ الَّتِي قَهَرَتِ العَجْزَ وَضَعْفَ الإِمْكَانَاتِ، وَذَلِكَ لِاسْتِنْهَاضِ العَزِيمَةِ، وَاسْتِثَارَةِ الهِمَّةِ.

قَالَ **ابْنُ القَيِّمِ** -رَحِمَهُ اللهُ- في (مَدَارِجِ السَّالِكِينَ) (٣/ ١٤٧- ١٤٨):

"فَانْظُرْ إِلَى هِمَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ عُرِضَتْ عَلَيْهِ مَفَاتِيحِ كُنُوزِ الأَرْضِ فَأَبَاهَا، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَوْ أَخَذَهَا لَأَنْفَقَهَا فِي طَاعَةِ رَبِّهِ تَعَالَى؛ فَأَبَتْ لَهُ تِلْكَ الهِمَّةُ العَالِيَةُ أَنْ يَتَعَلَّقَ مِنْهَا بِشَيْءٍ مِمَّا سِوَى اللهِ وَمَحَابِّهِ. وَعُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَرَّفَ بِالْمُلْكِ فَأَبَاهُ وَاخْتَارَ التَّصَرُّفَ بِالعُبُودِيَّةِ المَحْضَةِ. فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِقُ هَذِهِ الهِمَّةِ، وَخَالِقُ نَفْسٍ تَحْمِلُهَا، وَخَالِقُ هِمَمَ لَا تَعْدُو هِمَمَ أَخَسِّ الحَيَوَانَاتِ".

أَهْلُ الدُّنْيَا يَطْلُبُونَ الدُّنْيَا، وَأَهْلُ الهِمَمِ العَالِيَةِ يَطْلُبُونَ مَا عِنْدَ اللهِ؛ **أَبُو هُرَيْرَةَ** ﷺ في آخِرِ حَيَاتِهِ يَبْكِي وَيَقُولُ: «آهٍ؛ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَطُولِ السَّفَرِ».

قَالَ **أَبُو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّيُّ**:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظِيمِ العَظَائِمُ

وَعَلَيْكَ أَنْ تَبْتَعِدَ عَنْ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ الهُبُوط بِالهِمَّةِ وَتَضْيِيعُهَا؛ وَبِخَاصَّةٍ الكَسَل وَالفُتُور، فَهُمَا قَاتِلَانِ لِلْهِمَّةِ، وَخَاصَّةً عِنْدَ تَقَدُّمِ العُمْرِ وَعَجْزِ الجِسْمِ.

فَهَذَا **شَيْخُ الإِسْلَامِ زَكَرِيَّا الأَنْصَارِيُّ** -رَحِمَهُ اللهُ- كَانَ يُصَلِّي النَوَافِلَ مِنْ قِيَامٍ [بَدَلًا مَنْ أَنْ يُصَلِّي جَالِسًا] مَعَ كِبَرِ سِنِّهِ، وَبُلُوغِهِ مِائَةَ سَنَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَهُوَ يَمِيلُ يَمِينًا وَشِمَالًا لَا يَتَمَالَكُ أَنْ يَقِفَ بِغَيْرِ مَيْلٍ لِلْكِبَرِ وَالمَرَضِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَ: (يَا وَلَدِي! النَّفْسُ مِنْ شَأْنِهَا الكَسَلُ، وَأَخَافُ أَنْ تَغْلِبَنِيَ، وَأَخْتِمَ عُمْرِي بِذَلِكَ) انْظُرْ: (الكَوَاكِب السَّائِرَة بِأَعْيَانِ المِائَةِ العَاشِرَة) لِنَجْمِ الدِّينِ الغُزِّي (٢٠٢/١)

❁❁❁❁❁

وَمَرَاتِبُ (الهِمَمِ):

١. مِنَ النَّاسِ مَنْ يَطْلُبُ المَعَالِيَ بِلِسَانِهِ، وَلَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ فِي الوُصُولِ إِلَيْهَا.

٢. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَطْلُبُ إِلَّا سَفَاسِفَ الأُمُورِ وَدَنَايَاهَا.

٣. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَسْمُو بِهِ مَطَالِبُهُ إِلَى مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

وَمَرَاتِبُ (الهِمَّةِ) مُتَفَاوِتَةٌ فِيمَا يَلِي:

١. هِمَّةٌ لَا تُسْعِفُ صَاحِبَهَا لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِ الأَسَاسِيَّةِ.

٢. هِمَّةٌ تَرْقَى بِصَاحِبِهَا إِلَى قَضَاءِ الحَوَائِجِ وَالسَّعْيِ فِي الأَرْضِ وَأَدَاءِ الفُرُوضِ.

٣. الجَهْلُ بِكَيْفِيَّةِ اِسْتِثْمَارِ الهِمَّةِ.

٤. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَتَجَاوَزُ بِهِ هِمَّتُهُ وَاقِعَ النَّاسِ وَتَتَعَدَّاهُ، وَهَذِهِ نَادِرَةٌ فِي دُنْيَا البَشَرِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- في (مَدَارِجِ السَّالِكِينَ) (٣/ ١٧١) **وَاصِفًا الهِمَّةَ العَالِيَةَ:**

"... وَعُلُوّ الهِمَّةِ: أَنْ لَا تَقِفَ (أَيْ: النَّفْس) دُونَ الله، وَلَا تَتَعَوَّضَ عَنْهُ بِشَيْءٍ سِوَاهُ، وَلَا تَرْضَى بِغَيْرِهِ بَدَلًا مِنْهُ، وَلَا تَبِيعَ حَظَّهَا مِنْ الله وَقُرْبَهُ وَالأُنْسَ بِهِ وَالفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالِابْتِهَاجَ بِهِ؛ بِشَيْءٍ مِنَ الحُظُوظِ الخَسِيسَةِ الفَانِيَةِ. فَـ(الهِمَّةُ العَالِيَةُ) عَلَى الهِمَمِ كَالطَّائِرِ العَالِي عَلَى الطُّيُورِ لَا يَرْضَى بِمَسَاقِطِهِمْ وَلَا تَصِلُ إِلَيْهِ الآفَاتُ الَّتِي تَصِلُ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّ (الهِمَّةَ) كُلَّمَا عَلَتْ بَعُدَتْ عَنْ وُصُولِ الآفَاتِ إِلَيْهَا".

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- في (مَدَارِجِ السَّالِكِينَ) (٣/ ١٤٧): "وَلله الهِمَمُ مَا أَعْجَبَ شَأْنَهَا وَأَشَدَّ تَفَاوُتَهَا؛ فَهِمَّةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِالعَرْشِ، وَهِمَّةٌ حَائِمَةٌ حَوْلَ الأَنْتَانِ وَالحُشِّ (أَيْ: بَيْت الخَلَاءِ). وَالعَامَّةُ تَقُولُ: قِيمَةُ كُلِّ اِمْرِيءٍ مَا يُحْسِنُهُ، وَالخَاصَّةُ تَقُولُ: قِيمَةُ المَرْءِ مَا يَطْلُبُهُ. وَخَاصَّةُ الخَاصَّةِ تَقُولُ: هِمَّةُ المَرْءِ إِلَى مَطْلُوبِهِ".

وَعَلَى (الإِنْسَانِ) أَنْ يَدْأَبَ فِي تَحْصِيلِ الكَمَالَاتِ وَكُلَّمَا وَصَلَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا تَطَلَّعَ إِلَى مَا هُوَ أَسْمَى، فَصَاحِبُ الهِمَّةِ العَالِيَةِ وَالنَّفْسِ التَّوَّاقَةِ لَا يَرْضَى بِالأَشْيَاءِ الدَّنِيئَةِ الفَانِيَةِ، وَهِمَّتُهُ دَائِمًا تَوَّاقَةٌ إِلَى الدَّرَجَاتِ العُلَى؛ قَالَ الخَلِيفَةُ **عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ** -رَحِمَهُ اللهُ-: "إِنَّ نَفْسِي تَوَّاقَةٌ، وَإِنَّهَا لَمْ تُعْطَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا إِلَّا تَاقَتْ إِلَى مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، فَلَمَّا أُعْطِيَتْ مَا لَا أَفْضَلُ مِنْهُ فِي

الدُّنْيَا (أَيْ: الخِلَافَة وَالمُلْك) تَاقَتْ إِلَى مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ -يَعْنِي: الجَنَّة". وَعَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ.

بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى بِلَادِ المُسْلِمِينَ، أَيْ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ بَلَدًا مِنْ بِلَادِ الإِسْلَامِ وَبَاتَتْ لَهُ مَشَارِقُ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا تَحْتَ إِمَارَتِهِ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ قَصِيرَةً لَمْ تَتَجَاوَزِ السَّنَتَيْنِ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا، فَلَمَّا بَلَغَ الخِلَافَةَ ارْتَفَعَتِ الهِمَّةُ فَاشْتَاقَ إِلَى الجَنَّةِ؛ فَسَعَى وَعَمِلَ مِنْ أَجْلِهَا.

وَعَلَى (الإِنْسَانِ) عَدَمُ الِالْتِفَاتِ إِلَى المُؤَثِّرَاتِ وَالمُثَبِّطَاتِ [وَمَا أَكْثَرَهَا!].

وَالَّذِي يَلْتَفِتُ لِنَعِيقِ البَاطِلِ فَهُوَ كَالظَّبْيِ، وَالظَّبْيُ أَشَدُّ سَعْيًا مِنَ الكَلْبِ وَيَسْبِقُهُ فِي الجَرْيِ، وَلَكِنَّهُ إِذَا أَحَسَّ بِهِ الْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَحِينَئِذٍ يَضْعُفُ فَيُدْرِكُهُ الكَلْبُ فَيَأْخُذُهُ؛ وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

أُخَيَّ! فَامْضِ لاَ تَلْتَفِتْ لِلْوَرَاءِ طَرِيقُكَ قَدْ خَضَّبَتْهُ الدِّمَاءْ
وَلاَ تَلْتَفِتْ هَا هُنَا أَوْ هُنَاكَ وَلاَ تَتَطَلَّعْ لِغَيْرِ السَّمَاءْ

وَعَلَى (الإِنْسَانِ) الِاعْتِرَافُ بِقُصُورِ هِمَّتِهِ، وَأَنَّهُ لَابُدَّ لَهُ أَنْ يُطَوِّرَهَا وَيَعْلُو بِهَا؛ فَهَذَانِ عَامِلَانِ مُهِمَّانِ لَابُدَّ مِنْهُمَا فِي مُحَاوَلَةِ تَطْوِيرِ هِمَّتِهِ: فَعَلَيْهِ:

أ. الِاعْتِرَافُ بِقُصُورِ هِمَّتِهِ.

ب. وَاعْتِقَادُ إِمْكَانِيَّةِ تَطْوِيرِهَا.

وَ... الِابْتِعَادُ عَنْ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ الهُبُوطِ بِالهِمَّةِ وَتَضييعِهَا؛ [وَقَدْ تَكُونُ مِنَ العَوَامِلِ الفَتَّاكَةِ القَاضِيَةِ عَلَى الهِمَّةِ؛ مَهْمَا قِيلَ فِي تَبْرِيرِهَا وَتَعْلِيلِهَا]، فَقَدْ تَضِيعُ الطَّاقَاتِ فِي أُمُورٍ لَا تَعُودُ عَلَى (الإِنْسَانِ) بِالنَّفْعِ بَلْ رُبَّمَا فِيهَا الكَثِيرُ مِنَ الضَّرَرِ، مِثْلُ التَّمَتُّعِ بِالكَثِيرِ مِنْ فُضُولِ المُبَاحَاتِ وَالتَّرَفِ الزَّائِدِ، وَالتَّرَفُّلِ فِي النَّعِيمِ، وَالِانْهِمَاكِ فِي تَحْصِيلِ المَالِ، وَتَكْلِيفِ النَّفْسِ بِأُمُورٍ لَا ضَرُورَةَ لَهَا.

وَالتَّنَبُّهُ بِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَسْبَابِ (الِانْتِكَاسِ): التَّسْوِيف؛ وَهُوَ دَاءٌ عِضَالٌ وَمَرَضٌ قَتَّالٌ، قَـ(سَوْفَ) مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسَ. وَأَيْضًا: الكَسَل وَالفُتُور. فَهُمَا قَاتِلَانِ لِلْهِمَّةِ. وَأَيْضًا: مُلَاحَظَة الخَلْقِ، وَالِاغْتِرَار بِهِمْ.

وَالنَّاسُ عَلَى نَوْعَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ، فَهُنَاكَ مَنْ هَمُّهُ المَأْكَلُ وَالمَشْرَبُ وَالمَسْكَنُ وَالمَنْكَحُ وَهَذَا هُوَ هَمُّ النَّفْسِ، وَهُنَاكَ مَنْ هَمَّهُ (اللهُ) وَالدَّارُ الآخِرَةِ.

- **وَقَدْ قَسَّمَ بَعْضُهُمُ المُسْلِمِينَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ؛ هِيَ:**

النَّوْعُ الأَوَّلُ: صَالِحٌ مُلْتَزِمٌ بِدِينِهِ؛ وَهُوَ المُعْتَمَدُ عَلَيْهِ لِلرُّقِيِّ بِهَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ خِلَالِ الجَمْعِيَّاتِ وَالهَيْئَاتِ وَاللِّجَانِ وَالتَّوْعَوِيَّةِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: مُسْتَقِيمٌ مُحَافِظٌ عَلَى الفَرَائِضِ وَالوَاجِبَاتِ، فَهَؤُلَاءِ يُوَجَّهُونَ إِلَى عِدَّةِ مَجَالَاتٍ؛ فَإِنْ كَانُوا أَهْلَ ثَرْوَةٍ يُوَجَّهُونَ إِلَى المُشَارَكَةِ فِي أَعْمَالِ الخَيْرِ كَبِنَاءِ المَسَاجِدِ وَغَيْرِهَا، وَإِلَّا وُجِّهُوا إِلَى الدُّرُوسِ وَخُطَبِ الجُمُعَةِ، وَحُمِّسُوا لِلْجِهَادِ، وَوُجِّهُوا إِلَى اِسْتِثْمَارِ الوَقْتِ فِي مَا يُفِيدُ كَالقِرَاءَةِ النَّافِعَةِ وَغَيْرِهَا.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: هُوَ النَّوْعُ المُفَرِّطُ المُضَيِّعُ، وَهَذَا يُتْرَكُ لِحِينِ إِفَاقَتِهِ.

وَكَانَ الإِمَامُ **اِبْنُ الجَوْزِيِّ** -رَحِمَهُ اللهُ- حَرِيصًا عَلَى أَوْقَاتِ عُمْرِهِ، فَلَا يُضَيِّعُ وَقْتَهُ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ؛ حَتَّى السُّوَيْعَاتِ الَّتِي يَضْطَرُ فِيهَا لِاسْتِقْبَالِ زَائِرِيهِ كَانَ يَشْغَلُهَا بِأُمُورٍ تَتَعَلَّقُ بِعُلُومِهِ .. يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ فِي (صَيْد الخَاطِر):

"أَعْدَدْتُ أَعْمَالًا لَا تَمْنَعُ مِنَ المُحَادَثَةِ لِأَوْقَاتِ لِقَائِهِمْ؛ لِئَلَّا يَمْضِي الزَّمَانُ فَارِغًا، فَجَعَلْتُ مِنَ الِاسْتِعْدَادِ لِلِقَائِهِمْ قَطْعَ الكَاغِدِ -أَيْ: وَرَق الكِتَابَةِ- وَبَرْيَ الأَقْلَامِ، وَحَزْمَ الدَّفَاتِرِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الأَشْيَاءَ لَا بُدَّ مِنْهَا، وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى فِكْرٍ، وَحُضُورِ قَلْبٍ، فَأَرْصَدْتُهَا لِأَوْقَاتِ زِيَارَتِهِمْ؛ لِئَلَّا يَضِيعَ شَيْءٌ مِنْ وَقْتِي".

(عَالِي الهِمَّةِ) يَرْتَحِلُ دَائِمًا فِي دُرُوبِ الفَضَائِلِ وَالمَكَارِمِ، يُصْلِحُ الدُّنْيَا وَيَعْمُرُهَا بِالخَيْرَاتِ، وَيَجْتَهِدُ لِلْآخِرَةِ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالمَبَرَّاتِ، غَايَتُهُ حَيَاةُ الخُلْدِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

أَمَّا (سَاقِطُ الهِمَّةِ)؛ فَهُوَ العَاجِزُ الضَّعِيفُ، يَسْعَى عَلَى إِشْبَاعِ أَهْوَائِهِ وَشَهَوَاتِهِ وَرَغَبَاتِهِ، عَرَضُهُ تَافِهٌ، وَمَطْلَبُهُ رَخِيصٌ، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ.

فَـ(عَالِي الهِمَّةِ) فِي سَبِيلِ الوُصُولِ إِلَى العَلْيَاءِ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ التَّعَبِ وَالبَذْلِ وَالجِدِّ وَعَدَمِ الرَّاحَةِ، وَالَّذِي لَا يَتْعَبُ فِي غَايَتِهِ وَلَا يُسْقِيهَا مِنْ مَاءِ هِمَّتِهِ وَعَزِيمَتِهِ؛ فَلَنْ يُدْرِكَهَا:

ذَرِينِي أَنَل مَا لاَ يُنَالُ مِنَ العُلاَ فَصَعْبُ العُلاَ فِي الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فِي السَّهْلِ

تُرِيدِينَ إِدْرَاكَ المَعَالِي رَخِيصَةً وَلاَ بُدَّ دون الشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ

فَإِنَّهُ بِقَدْرِ الكَدِّ تُكْتَسَبُ المَعَالِي، وَمَنْ طَلَبَ العُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي.

قَالَ **الشَّاعِرُ**:

وَمَنْ رَامَ العُلاَ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ العُمْرَ فِي طَلَبِ المُحَالِ

تَرُومُ العِزَّ ثُمَّ تَنَامَ لَيْلاً يَغُوصُ البَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّآلِي

وَقَدْ سُئِلَ **الإِمَامُ أَحْمَدُ**: مَتَى يَجِدُ العَبْدُ طَعْمَ الرَّاحَةِ؟ فَقَالَ: «عِنْدَ أَوَّلِ قَدَمٍ يَضَعُهَا فِي الجَنَّةِ».

إِنَّهَا (الهِمَمُ) الَّتِي تَتَّقِدُ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهَا، إِنَّهَا العَزَائِمُ الَّتِي لَا تَرْضَى بِغَيْرِ اللهِ بَدِيلًا، وَلَا تَبِيعُ حَظَّهَا بِشَيْءٍ مِنَ الحُظُوظِ الدُّنْيَوِيَّةِ الدَّنِيئَةِ الخَسِيسَةِ.

فَمَا أَحْوَجَنَا إِلَى هِمَمٍ كَتِلْكَ فِي زَمَنٍ سَقَطَتْ فِيهِ الهِمَمُ، فَلْنَسِرْ عَلَى جَادَّتِهِمْ.

وَقَالَ **المُتَنَبِّيُّ**:

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الأَجْسَامُ

وَقَالَ أَيْضًا:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ

فَطَعْمُ المَوْتِ في أَمْرٍ حَقِيرٍ كَطَعْمِ المَوْتِ في أَمْرٍ عَظِيمِ

وَقَالَ **أَبُو فِرَاسٍ الحَمْدَانِيُّ**:

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لاَ تَوَسُّطَ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ العَالَمِينَ أَوِ القَبْرُ

تَهُونُ عَلَيْنَا في المَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ يَخْطُبُ الحَسْنَاءَ لَمْ يَغْلِهِ المَهْرُ

قَالَ **ابْنُ القَيِّمِ**؛ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الهِمَّةِ:

«فَكَيْفَ يَحْسُنُ بِذِي هِمَّةٍ قَدْ أَزَاحَ اللهُ عَنْهُ عِلَلَهُ، وَعَرَّفَهُ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ أَنْ يَرْضَى بِأَنْ يَكُونَ حَيَوَانًا؛ وَقَدْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَصِيرَ إِنْسَانًا، وَبِأَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا وَقَدْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا، وَبِأَنْ يَكُونَ مَلَكًا وَقَدْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ؛ فَتَقُومُ المَلَائِكَةُ فِي خِدْمَتِهِ، وَتَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ (الرَّعْد/ ٢٤)».

وَاللهُ ﷻ -بِمِنِّهِ وَكَرَمِهِ- يُثِيبُ عَالِيَ الهِمَّةِ وَيَرْفَعُهُ:

قَالَ ﷺ: «**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**». رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ؛ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

وَقَالَ ﷺ فِيمَنْ تَجَهَّزَ لِلْجِهَادِ ثُمَّ أَدْرَكَهُ المَوْتُ: «**قَدْ أَوْقَعَ اللهُ أَجْرَهُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

وَقَالَ ﷺ: «**مَا مِنِ امْرِئٍ تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِلَيْلٍ، فَغَلَبَهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ؛ إِلَّا كُتِبَ لَهُ أَجْرُ صَلَاتِهِ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ**». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ.

وَقَدْ يَتَفَوَّقُ المُؤْمِنُ بِهِمَّتِهِ العَالِيَةِ؛ كَمَا بَيَّنَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ يَسْبِقُ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ؟! قَالَ: «**رَجُلٌ كَانَ لَهُ دِرْهَمَانِ؛**

فَأَخَذَ أَحَدهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ، وَآخَرُ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ؛ فَأَخَذَ مِنْ عَرْضِهَا مِائَةَ أَلْفٍ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ المَكَارِمَ مَنُوطَةٌ بِالمَكَارِهِ، وَأَنَّ المَصَالِحَ وَالخَيْرَاتِ وَاللَّذَّاتِ وَالكَمَالَاتِ كُلَّهَا لَا تُنَالُ إِلَّا بِحَظٍّ مِنَ المَشَقَّةِ، وَلَا يُعْبَرُ إِلَيْهَا إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**».

قَالَ الشَّاعِرُ:

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الكُبْرَى فَلَمْ أَرَهَا ... تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فَقُلْ لِمُرَجِّي مَعَالِي الأُمُورِ ... بِغَيْرِ اجْتِهَادٍ: رَجَوْتَ المُحَالَا

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَحْزَانُ قَلْبِي لَا تَزُولُ ... حَتَّى أُبَشَّرَ بِالقَبُولِ
وَأَرَى كِتَابِي بِاليَمِينِ ... وَتُسَرَّ عَيْنِي بِالرَّسُولِ

يَا عَالِيَ الهِمَّةِ! لَا يَضُرُّكَ التَّفَرُّدُ، فَإِنَّ طُرُقَ العَلَاءِ قَلِيلَةُ الإِينَاسِ.

فَـ(عَالِي الهِمَّةِ) مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ تَرَقَّى فِي مَدَارِجِ الكَمَالِ بِحَيْثُ صَارَ لَا يَأْبَهُ بِقِلَّةِ السَّالِكِينَ وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّهُ يَحْصُلُ مَعَ كُلِّ مَرْتَبَةٍ يَرْتَقِي إِلَيْهَا مِنَ الأُنْسِ بِاللهِ مَا يُزِيلُ هَذِهِ الوَحْشَةَ وَإِلَّا انْقَطَعَ بِهِ السَّبِيلُ ..

فَـ(عَالِي الهِمَّةِ) لَا يَرْضَى بِالدُّونِ وَلَا يُرْضِيهِ إِلَّا مَعَالِي الأُمُورِ.

إِنَّ (عَالِي الهِمَّةِ) يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَزِدْ شَيْئًا فِي الدُّنْيَا فَسَوْفَ يَكُونُ زَائِدًا عَلَيْهَا، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ لَا يَرْضَى بِأَنْ يَحْتَلَّ هَامِشَ الحَيَاةِ، بَلْ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي صُلْبِهَا وَمَتْنِهَا عُضْوًا مُؤَثِّرًا:

إِذَا مَا مَضَى يَوْمٌ وَلَمْ أَصْطَنِعْ يَدًا ... وَلَمْ أَقْتَبِسْ عِلْمًا فَمَا هُوَ مِنْ عُمُرِي

إِنَّ كَبِيرَ الهِمَّةِ نَوْعٌ مِنَ البَشَرِ تَتَحَدَّى هِمَّتُهُ مَا يَرَاهُ غَيْرُهُ مُسْتَحِيلًا، وَيُنْجِزُ مَا يَنُوءُ بِهِ

العُصْبَةُ أُولُو القُوَّةِ، وَيَقْتَحِمُ الصِّعَابَ وَالأَهْوَالَ لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ؛ لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا، وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ.

وَمَنْ كَانُوا كَذَلِكَ تَجِدُ أَنَّهُمْ فِي النَّاسِ قِلَّةٌ، يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: «**تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ، لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً**».

وَقَدْ كَانُوا إِذَا عُدُّوا قَلِيلاً فَقَدْ صَارُوا أَعَزَّ مِنَ القَلِيلِ.

❁❁❁❁❁

وَأَسْبَاب (اِنْحِطَاطِ الهِمَمِ) كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا:

* **الوَهَنُ**؛ كَمَا فَسَّرَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ**».

* **الفُتُورُ**؛ قَالَ ﷺ: «**إن لكل عمل شِرَّةً، ولكل شِرَّة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت إلى غير ذلك فَقَدْ هَلَكَ**».

* **اِهْدَارُ (الوَقْتِ) فِي فُضُولِ المُبَاحَاتِ**؛ قَالَ ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**».

* **العَجْزُ وَالكَسَلُ**؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَوْ أَرَادُوا الخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِينَ**﴾ (التَّوْبَة/ ٤٦).

* **الغَفْلَةُ**، وَشَجَرَةُ (الغَفْلَةِ) تُسْقَى بِمَاءِ الجَهْلِ الَّذِي هُوَ عَدُوُّ الفَضَائِلِ كُلِّهَا؛ قَالَ اِبْنُ القَيِّم: لَابُدَّ مِنْ سِنَةِ الغَفْلَةِ، وَرُقَادِ الغَفْلَةِ، وَلَكِنْ كُنْ خَفِيفَ النَّوْمِ.

* **التَّسْوِيفُ وَالتَّمَنِّي**؛ وَهُمَا صِفَةُ بَلِيدِ الحِسِّ، عَدِيمِ المُبَالَاةِ؛ الَّذِي كُلَّمَا هَمَّتْ نَفْسُهُ بِخَيْرٍ: إِمَّا يُعِيقُهَا بِسَوْفَ حَتَّى يَفْجَأَهُ المَوْتُ، وَإِمَّا يَرْكَبُ بِهَا بَحْرُ التَّمَنِّي؛ وَهُوَ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، يُدْمِنُ رُكُوبَهُ مَفَالِيسُ العَالَمِ.

* **مُلَاحَظَةُ (سَافِلِ الهِمَّةِ) مِنْ طُلَّابِ الدُّنْيَا**؛ قَالَ ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ**

وَالجَلِيسِ السُّوءِ؛ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ. فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً».

* **العِشْقُ**؛ لأَنَّ صَاحِبَهُ يَحْصُرُ هِمَّتَهُ فِي حُصُولِ مَعْشُوقِهِ فَيُلْهِيهِ عَنْ حُبِّ اللهِ وَرَسُولِهِ.

* **الانْحِرَافُ فِي فَهْمِ العَقِيدَةِ**؛ لَا سِيَّمَا مَسْأَلَةُ (القَضَاءِ وَالقَدَرِ)، وَعَدَمُ تَحْقِيقِ (التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ)، وَبِدْعَةُ (الإِرْجَاءِ).

* **الفَنَاءُ فِي مُلَاحَظَةِ حُقُوقِ الأَهْلِ وَالأَوْلَادِ وَاسْتِغْرَاقِ الجَهْدِ فِي التَّوَسُّعِ فِي تَحْقِيقِ مَطَالِبِهِمْ**؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ (التَّغَابُن/ ١٤- ١٥).

* **المَنَاهِجُ التَّرْبَوِيَّةُ وَالتَّعْلِيمِيَّةُ الهَدَّامَةُ**؛ التي تثبط الهمم، وتخنق المواهب، وتكبت الطاقات، وتخرب العقول، وتنشىء الخنوع، وتزرع في الأجيال ازدراء النفس، وتعمق فيها احتقار الذات، والشعور بالدونية.

* **تَوَالِي الضَّرَبَاتِ، وَازْدِيَادُ اضْطِهَادِ العَامِلِينَ لِلإِسْلَامِ**؛ مما ينتج الشعور بالإحباط في نفوس الذين لا يفقهون حقيقة البلاء، وسنن الله عز وجل في خلقه.

❁❁❁❁❁

أَسْبَابُ (الارْتِقَاء بِالهِمَمِ):

* **إِرَادَةُ الآخِرَةِ، وَجَعْلُ الهُمُومِ هَمًّا وَاحِدًا**؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا**﴾ (الإِسْرَاء/١٨- ١٩)، وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ كانت همّه الآخرة، جمع الله له شملَه، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا**

راغمة، ومن كانت همّه الدنيا، فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له».

* **العَلْمُ وَالبَصِيرَةُ**؛ فَهَذَا يَصْعَدُ بِالهِمَّةِ، وَيَرْفَعُ طَالِبَهُ.

* **كَثْرَةُ ذِكْرِ المَوْتِ**؛ فَعَنْ عَطَاءٍ؛ قَالَ: كَانَ **عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ** يَجْمَعُ كُلَّ لَيْلَةٍ الفُقَهَاءَ؛ فَيَتَذَاكَرُونَ المَوْتَ وَالقِيَامَةَ وَالآخِرَةَ، وَيَبْكُونَ.

* **الدُّعَاءُ**؛ لأَنَّهُ سُنَّةُ الأَنْبِيَاءِ، وَجَالِبُ كُلِّ خَيْرٍ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «**أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ**».

* **الِاجْتِهَادُ فِي حَصْرِ الذِّهْنِ، وَتَرْكِيزِ الفِكْرِ فِي مَعَالِي الأُمُورِ**؛ قَالَ **الحَسَنُ**: نَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالحَقِّ شَغِلَتْكَ بِالبَاطِلِ.

* **التَّحَوُّلُ عَنِ البِيئَةِ المُثَبِّطَةِ**.

* **صُحْبَةُ وَمُخَالَطَةُ أُولِي الهِمَمِ العَالِيَةِ**؛ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارَنِ يَقْتَدِي، وَمُطَالَعَةُ أَخْبَارِهِمْ.

* **نَصِيحَةُ المُخْلِصِينَ**؛ فَعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:[1] «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**». * المُبَادَرَةُ وَالمُدَاوَمَةُ وَالمُثَابَرَةُ فِي كُلِّ الظُّرُوفِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ**﴾ (العَنْكَبُوت/ ٦٩).

---

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (١٠٢/٤ ح ١٦٩٨٢)، وَمُسْلِمٌ (٧٤/١ ح ٥٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (ح ٤٩٤٤)، وَالنَّسَائِيُّ (١٥٦/٧ ح ٤١٩٧)، وَغَيْرُهُمْ.

وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ (الحَدِيد/ ٢١)، وَيَقُولُ: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**﴾ (الوَاقِعَة/ ١٠)، وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ...**».

• **أَلاَّ يَسْتَوْقِفَكَ البَلاَءُ عَنِ السَّيْرِ إِلَى اللهِ**، فَمَتَاعُ الدُّنْيَا زَائِلٌ؛ لأَنَّهَا مَهْمَا طَالَتْ فَهِيَ قَصِيرَةٌ؟!

• **قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ بِمَا يُحْسِنُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ**، وَبِمَا يُقَدِّمُهُ الإِنْسَانُ لِلآخِرَةِ؛ فَبُشِّرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ أَنَّهُ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنَ الأَبْوَابِ الثَّمَانِيَةِ فِي صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ.

• **العَمَلُ وَالجِدُّ هُوَ الطَّرِيقُ الأَعْظَمُ إِلَى المَجْدِ**، وَهُوَ بَلْسَمٌ لِلأَوْاِئِكَ، وَعِلاَجٌ لِأَمْرَاضِكَ، بَلْ هُوَ كَنْزُكَ.

• الإِنْسَانُ لَا يَعِيشُ فِي (سَوْف) وَ(غَدًا)، والمشكلة ليستِ الوقت، ولكن الهِمَّة.

• **إِذَا فُتِحَ لَكَ بَابُ خَيْرٍ؛ فَافْتَحْهُ**.

• **وَاعْلَمْ أَنَّهُ بِالعِبَادَةِ تَزِيدُ قُوَّةَ البَدَنِ**؛ فَـ(فَاطِمَةُ) رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حِينَمَا طَلَبَتْ خَادِمًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَمَرَهَا بِالتَّسْبِيحِ.

• **وَمِنْ وَسَائِلِ تَقْوِيَةِ الهِمَّةِ كَذَلِكَ: التَّرَفُّعُ عَنْ صَغَائِرِ الأُمُورِ وَإِدْرَاكُ ضَخَامَةِ العَمَلِ اللاَّزِمِ**، وَصَدَقَ مَنْ قَالَ: إِنَّ الوَاجِبَاتِ أَكْثَرُ مِنَ الأَوْقَاتِ، وَأَهَمُّ مَا يَرْتَقِي بِأَصْحَابِ الهِمَمِ اِسْتِشْعَارُهُمْ عِظَمَ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ مِنَ اللهِ ﷻ؛ فَإِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، وَسِلْعَةَ اللهِ هِيَ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ.

❁❁❁❁❁

إنَّ رحلة الحياة طويلةٌ وشاقَّةٌ يحتاجُ فيها المسافر إلى ما يحفَظُه في سفَرِه وإلى ما يُعِينه على بُلوغ مَقصِده الآمِن الناعم، وصدَق مَن قال: إنَّ الناس في هذه الرحلة لا يتفاوَتون بالصُّوَر

إنما بالهِمَم، والهمَّة هي التي تحثُّ المسافر على السَّير، ولا تجعَلُه ينسى في واحات الراحة والتزوُّد وجهتَه وغايتَه.

والجديَّة مطلبٌ عزيز لا ينالُه إلا مَن جعَل نصب عينَيْه أمورًا ثلاثة: وضوح الهدف والغاية، وصُعوبة الهدف وعُلوَّه، وإدراك أهميَّة الوقت، ومن المهم أنْ نُدرِك أنَّ صُعوبة الهدف وعلوَّه يحفزان الهمَّة ويدفَعان السأم والملل، فإنَّ الصياد تَعظُم متعته إذا كان صيدُه بعيدًا شَرُودًا عزيزَ المنال.

❁❁❁❁❁

الذين يعانون من الأمراض النفسية والقرحة والصراع المزيف والأزمات القلبية ... كل هذا سببه عدم تغيير الذات، عدم الارتقاء بالذات .

فَإِنَّ التَّغْيِيرَ أَمْرٌ حتمي ولا بد منه، فالحياة كلها تتغير والظروف والأحوال تتغير حتى نحن نتغير من الداخل، فمع إشراقه شمس يوم جديد يزداد عمرك يومًا، وبالتالي تزداد خبراتك وثقافاتك ويزداد عقلك نضجًا وفهمًا، ولكن المهم أن توجه عملية التغيير كي تعمل من أجل مصلحتك أكثر من أن تنشط للعمل ضدك.

فكل واحد فينا مِنَ الممكن بل من السهل أن يتغير للأفضل، ولكلما ازداد فهمك لنفسك وعقلك أكثر كلما سهل عليك التغير أكثر وهذا ما تحرص عليه هذه الحلقات أن تمنحك أدوات التغيير لنفسِكَ ولعقلك، ولكن من المهم أن تتذكر دائمًا أن التغيير يحدث بصفة مستمرة، وأنك إِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ توجه دفة التغير للأفضل فستتغير للأسوأ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ**﴾ (المُدَّثِّر/٣٧).

فهو إما صعود أو هبوط؛ إما تقدم أو تأخر، إما علو أو نُزُول.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو كيف أغير مِنْ نفسي؟ كيف أتحسن للأفضل؟

❁❁❁❁❁

شُرُوطُ التَّغْيِيرِ ثَلاَثَةٌ:

الشَّرْطُ الأَوَّلُ: فَهْمُ الحَاضِرِ:

الفرصة الخاصة بالتغير لا يمكن أن تتواجد إلا في وقتك الحاضر، وهذا يعني أن الشرط الأول من أجل تحقيق تغيير مجدٍ هُوَ أن ترى بوضوح أين توجد الآن وفي هذه اللحظة. لا تخفِ نفسك بعيدًا عن الحقيقة الراهنة، فإذا كانت هناك بعض المظاهر التي لا تعجبك، فبوسعك أن تبدأ بتخطيط كيفيةِ تغييرها، لكنك لو تظاهرت بعدم وجودها فلن تقوم بتغييرها أبدًا، ولذا فكن صريحًا مَعَ نَفْسِكَ منصفًا في رؤيتك لها على وضعها الحالي.

الشَّرْطُ الثَّانِي: لاَ تُؤَرِّقْ نَفْسَكَ بِالمَاضِي:

إن الامتعاض بالأخطاء والهموم التي جرت بالأمس أمر مفهوم، لكنه من الخطأ أن تسمح للماضي أن يكون سجنًا لك، وبذلك فإن الشرط الثاني للتغيير المثمر هو المضي بخفة بعيدًا عن الماضي. إن الماضي بنك للمعلومات يمكنك أن تعلم منه، لكنه ليس بالشرك الذي يسقطك في داخلِهِ.

فخذ ما تشاء من الماضي من فوائد وخبرات ومعلومات، لكن إياك أن تعيشي في الماضي. أنت الآن شخص جديد أقوى بكثير من الماضي، وأفضل بكثير من الماضي، واستفدت من أخطاء الماضي فكيف تعيش فيه؟

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: تَقَبَّل الشَّكَّ في المُسْتَقْبَلِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ﴾ (النَّمْل/٦٥). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (الجن/٢٦).

إن المستقبل بالنسبة لنا أمر غيبي لا ندري ما الذي سيحدث فيه، ولكن هذا لا يعني ألا نضع الأهداف، وألا نخطط لمستقبلنا، هذا لا يعني ألا نتوقع ولا نتقبل الشك فيما قد يحدث لنا وللعالم حولنا لنكون على أهبة الاستعداد له، فعلينا الأخذ بالأسباب المتاحة لنا، وقد

ادخر رسول الله ﷺ نفقة أهله لسنة كاملة. ولذا فكي نحقق تغييرًا مثمرًا فإننا بحاجة إلى ترك مساحة للمجهول المشكوك فيه.

ونعلم أنك قد تفكر في ميلك إلى إجراء العديد من التغييرات لكنك لا تعرف من أين تبدأ؟ لا تحاول أن تجرب عمل الكثير مرة واحدة .حدد أي التغييرات التي عليك القيام بها أولاً ؟ فلأن تضيء شمعة واحدة خير من أن تلعن الظلام ألف مرة.

ليس الهدف الوحيد للاتصال أن تبعث برسالتك إلى الآخرين بل يجب أن يكون هدفك رباعي الأبعاد:

١. أن تفهم الطرف الآخر. ٢. ثم أن تستقبل رسالته. ٣. ثم أن تجعل نفسك مفهوماً، ٤. وَأَخِيرًا أن تبعث برسالتك إليه.